الفصل الرابع عشر
هل الإنسان من ذرية القرود؟

تصور العلماء أنَّ "إنسان نياندرتال" كان وجهه يشبه وجه القرد حيث اختفى من أوروبا بطريقة غامضة!!! ومع الوقت اكتُشِفَت عشرات من قطع العظام فى جنوب وشرق أفريقيا فى محاولات مضنية للتعرف على الأجداد المفقودين فى جب النشوء والارتقاء حيث تضاربت فيه الآراء، إلا أن إنسان نياندرتال كان جسمه براميلياً مكتنز اللحم كالإسكيمو وذو أنف عريض واسع ليدفيء الهواء البارد الذى كان يستنشقه فى أصقاع أوروبا حيث كان يعيش فى أواخر العصور الجليدية المتعاقبة. (1) ويعتبرون أنّ الإنسان الأول كان منتصب القامة، خرج من أفريقيا، وكان يصنع الآلة الصوانية كالفؤوس والأسلحة والمكاشط والشفرات الحادة. ويختلف إنسان نياندرتال عنه بأنفه العريض وضخامة عظام فكه وكبر حجم أسنانه الأمامية. لكنَّ العُلماء اكتشفوا فيما بعد عظاماً أقدم لها ملامح تشريحية مختلفة ولم يعد بعدها نياندرتال الجد الأول... لهذا يظلُّ البحث جارياً عنه. (2)

والخطوات الأولى لسيناريو البشر منتصبى القامة أظهرتها - كما يَدَّعون - الحفائر التى اكتشفت فى جنوب وشرق أفريقيا عندما عثر العلماء على آثار أقدام مطبوعة فوق رماد بركان قديم عندما عبرت الرئيسيات سهول تنزانيا فى لاتولى منذ 3. 6 مليون سنة، وهذا الاكتشاف جعل "فيونامارشال" يبذل كل جهوده للحفاظ على هذه البصمات القدمية لأنَّ علماء الوراثة من خلال تفسيرهم الجينى اكتشفوا أنَّ الإنسان العاقل كان يعيش فى أفريقيا وآسيا قبل

---

(1) مجلة العلم "، القاهرة - العدد 249 - يونيه 1997، صفحة (32).
(2) المرجع السابق. والمبحوث عنه المقصود فى نهاية الفقرة هو: " الجد الأول للإنسان ".

ظهور "إنسان نياندرتال" لأنَّ أول إنسان ظهر منتصب القامة كان منذ نحو *1. 5* مليون سنة فى "بدو بأثيوبيا" و "ندوتو بتنزانيا" لأن ما وجد من عظامه كانت سميكة ومتينة عن ذى قبل مما يُمَكِنَهُ من الوقوف عليها بسهولة.[1]

أما الكاتب "ريك جو" وزميله المصور "كينيث جاريف" فقد سافرا مئات الأميال إلى تنزانيا وجنوب أفريقيا للتّعرف على الأسلاف ولمعرفة كيف خطا الإنسان أولى خطواته على قدميه فوق الأرض... وفى جنوب أفريقيا شاهد الكاتب حفائر معظمها اكتشف هناك بواسطة علماء جامعة جوهانسبرج، وقاموا من خلال دراستها باكتشاف الخطوات الأولى لأشباه الإنسان قبل أن يصبحوا بشراً وأوعزوا نسبه إلى القرد، كما أكدوا على أنَّ ثمة مجموعتين للبشريات قد ظهرتا خلال أربعة ملايين سنة، إحداها الجنس البشرى الذى ظهر منذ *2. 5* مليون سنة، وقالوا أن المجموعتين شملتا ظهور الإنسان الماهر والإنسان العاقل والإنسان منتصب القامة، لكنَّ العُلماء ما زالوا حائرين فى كيف وأين حلَّ الجنس البشرى محلَّ أشباهه الأوسترالوبيثكيسين الذين كانوا يشبهون القردة بأمخاخها الصغيرة إلا أنهم كانوا يسيرون على أقدامهم. [2]

والأسترالوبيثكس أو"شبيه الإنسان" كان عالِم التَشريح "ريمون دارت" هو أول من ادعى اكتشاف أول حفرية لها عام *1925* بكهف "توانج" الحجرى بجنوب أفريقيا..... وكانت لطفل عمره *2. 5* مليون سنه، واعتبر علماء جنوب أفريقيا أنَّ طفل توانج هو الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان حيث أطلقوا عليه اسم "استرا لوبيثكس أفريكارتر" أى "قرد جنوب

(*1*) المرجع السابق.
(*2*) المرجع السابق، صفحة (33).

أفريقيا". وبعد توانج اكتشف العلماء عظاماً لعدة أنواع من شبيه الإنسان منها "*H. Repust*" وأنواع عائلة "لوسي" الشهيرة التى عمرها *3. 18* مليون سنة والتى اكتشفت عظامها فى موقع "جيدار بأثيوبيا" عام *1974*، واعتبر العلماء وقتها أنَّ لوسى هى "أم البشر"، ومع هذا فقد أعلن عالما الحفائر الألمانيان "بيتر شميديت" و "مارتن هوسلر" بجامعة زيورخ أنَّ لوسى ليست أم البشر كما يقال، بل ذكر كامل الذّكورة، وأكّد ذلك العالم "لورى هاجر" الذى شكك فى أنوثتها مكذباً الادعاء بأنها أم البشر. (1) وقد اكتشف فريق جامعة بيركلى فى بحيرة توركانا عظاماً عمرها *4. 4* مليون سنة، واعتبر "هوايت" أنها لنوع آخر من أشباه الإنسان سماه "راميدس" وقالوا أنه همزة الوصل بين أسلافنا والشمبانزي. (2)

وفى عام *1994* أعلن علماء الحفائر بجنوب أفريقيا عن مكتشفاتهم الحفائرية لشبيه الإنسان "أفريكاتر" مما جعلهم يؤكدون أنَّ شبيه الإنسان وُجِدَ أولاً فى جنوب أفريقيا وليس شرقها، ويعلق العالم "بيرجر" من جامعة جوهانسبرج بأنَّ خاصية المشى على قدمين نشأت فى موقعين: أحدهما فى شرق أفريقيا حيث عاش والموقع الثانى فى جنوب أفريقيا حيث كان نوع "أفريكاتر" الذى لم يكن بدائياً لأنَّ إصبعه يشبه إصبع الإنسان..(3)

وقد نشرت دورية "العِلم" مقالاً تحت عنوان " متاهة البحث عن الجذور!!! علماء أستراليا يهدمون نظرية داروين.... القرد أصله إنسان ترك الأرض وتَسَلقَ الأشجار فحدث له التحول!!! " حيث قالت: (فى جامعة كانبيرا أعلن علماء الأجناس الأستراليون أنَّ القرد أصلهُ إنسان وهدموا مؤخراً نظرية داوين وقلبوها، واعتبروا إنسان أستراليوبيتكس القديم

(*1*) المرجع السابق، الصفحات (33 - 34).
(*2*) المرجع السابق، صفحة (34).
(*3*) المرجع السابق، صفحة (34).

جَدُ القرد الإنسان، ويقول الأستراليون أنَّ الإنسان انفصل منذ أربعة ملايين سنة، وهذا يخالف قول علماء أصول الإنسان من أنَّ الانفصال تم منذ ثمانية ملايين سنة، ويضيف الأستراليون فى نظريتهم أنَّ القرد لم ينزل من فوق الشّجرة ليتطور لإنسان، لكنَّ الإنسان ترك الأرض وتسلق الأشجار وظلَّ هناك حتى أصبح قرداً)[1]

(1) المرجع السابق، صفحة (31 و 32).

ونحن بدورنا نتساءل: هل الإنسان من ذرية القرود؟ وأى مِن أنواع القرود هو جد الإنسان؟

يؤكـد دعـاة فكـرة التطـور أن الإنسـان مـن سـلالة القـرود، ويقولـون أنّ الهـوة بـين الإنسـان وبـين الحيـوان قـد ملأهـا "إنسـان مـا قبـل التاريخ" أو "الإنسان القرد" - الذى لم يوجد قط - وفـى ذلك تقول دوريـة "العلوم":

(يتصور علماء التطور أجدادنا أجلافاً[1] وبلا ذنب، وهم أضخم بقليل من الإنسان القرد الذى يعيش فى أيامنا هذه، وأنهم كانوا يتمتعون بعضلات وجه متحرك، ولكنهم لم يكونوا شديدى الذكاء، وكانوا يتسلقون الأشجار ويعيشون على الأكثر عليها كما يعيشون على وجه الأرض، وكانوا يستطيعون أن ينتصبوا انتصاباً غير تام، كما كانوا يمشون على أربع وعلى رجلين، ويبدو أنه لم تكن لهم لغة محكية.)[2]

أى أنه كان هناك على زعمهم إنسان قردى ذو جسم حيوانى وعقل غير ناضج، يجتمع فيه فى آن واحد صفات بشرية وأخرى حيوانية، إنسان لا يعقل إلا قليلاً ولا يتمكن عن التعبير عما يجيش فى صدره بالكلام، وهذا القول الافتراضى يحتاج إلى برهان يُثبته، والجواب هو ما قدمه "جان روستان" فى كتابه "التطور": (مازال البحث جارياً، وسيظل مستمراً وقتاً طويلاً لمعرفة الصلات الحقيقية لكل هذه الأشكال... هل الإنسان ينحدر من قرد يشبه الإنسان القردى الذى نعرفه؟ أو أنه ينحدر من قرد دون ذلك، أو من حيوان بدائى لا يستحق حتى اسم قرد؟)[3]

يتضح مما تقدم أنَّ كل ذلك هو مجرد افتراضات وهرطقات لا تمت إلى الحقيقة بصلة ما دام من يقول بها لا يملك الدليل على صحتها، ومعنى ذلك

(*1*) الجلف: الجافى فى خَلْقِهِ وَخُلُقِه، شُبّه بجلف الشاة، أى أنّ جوفه هواء لا عقل فيه، قال سيبويه: الجلف جمعها أجلاف، ويطلق على الأحمق أنه جلف لضعف عقله.

(*2*) خلق لا تطور، صفحة (95)، نقلاً عن: دورية " العلوم *Sciences* "، عدد أيار سنة 1965.

(*3*) المرجع السابق، نقلاً عن: ، كتاب " التطور Evolution "، جان روستان.

أنه توجد صعوبة فى إثبات تلك المقولة بالبرهان الدامغ، **لذا** فإنَّ الدورية نفسها تضيف قائلة: (إنَّ إحدى الصعاب الرئيسية تكمن فى ندرة وجود جماجم إنسان فى المستحثات ذات دلالة حقيقية، وكل ما وجد من جماجم حتى الآن فى توابيت كبيرة، وكل ما فيها من عظام لا علاقة له بالجمجمة)[1]

أما الصعوبة الثانية فهى كما ذكرها "جوليان هكسلي" فى كتابه "التطور على اعتبار أنه امتداد" حيث قال: (فى أكثر الحالات يكون وصف النموذج الذى يقدمه العلماء الذين يكتشفونه ينطوى على أهمية خاصة، أو يحتل مكاناً مرموقاً فى عالم نسبة الإنسان المباشر إلى الأجداد فى مقابل نسبته إلى القرود. ولكن حظّ هذا القول من الواقع قليل، وفى حالة الكلام عن تطور الإنسان الأول قلما تكون الاستنتاجات مدعومة بدليل بسبب قلة الوثائق)[2]

نعم، إنَّهُ مجرد وهم علق بمخيلتهم، إنها هرطقة يريدون وبكل الوسائل والأساليب إلباسها ثوب الحقيقة، ولكن فإنه لا دليل لديهم لدعم تلك الهرطقة سوى رغبتهم فى نشر تلك المقولة، إنهم يحاولون التأويل والتأليف كيفما اتفق ليوهموا أنفسهم قبل أن يوهموا الناس أنّ فى جعبتهم الأدلة والبراهين، إنّ كل ما تقدم لم يثنهم عن هرطقتهم أنَّ الإنسان وما يسمى بالإنسان القردى هما توأمان من أبوين من القرود!!!

وفى إصرار عجيب تؤكد مجلة " العالم الحديث " تلك القرابة المزعومة قائلة: (إنَّ القرابة التى لا شكَّ فيها بين الإنسان والإنسان القردى تدل بصراحة أنَّ لهما جداً مشترَكاً، ولكن هذا الجد لم يوجد حتى الآن، وقد

---

(1) المصدر السابق، صفحة (96)، نقلاً عن: دورية " العلوم *Sciences*"، عدد أيار سنة 1953.
(2) المصدر السابق، نقلا عن: *Julian Huxley. Evolution as a Process*

نجد صعوبة فى التّعرُف عليه)[1]

يتضح مما تقدم بجلاء أنَّ دعاة التّطور المنادين بتطور الإنسان من الإنسان القردى والذى بدوره قد انحدر من نفس الجد - وهو القرد أو السعدان - إنما يهرقطون بسفاسف القول، إنه الوهم الذى هم فيه عاجزون عجزاً كاملاً إثباته بدليل أو بشبهة دليل يُرضون به أنفسهم قبل أن يُقنعوا غيرهم من الناس، وفى ذلك تعترف جريدة "ستر دى ايفننج بوست" أنه على الباحثين عن أصل الإنسان أن يستمروا فى البحث حتى يكتشفوا أصول أجدادهم القرود!!! [2]

وكما عجز داروين صاحب النظرية المشهورة أن يؤكد من هو جد الإنسان الأول - القرد أم السعدان - فإنَّ مؤلف كتاب "الإنسان الأول" يؤكد ذلك العجز صراحة حين يقول (من المؤسف أن تظل حتى الآن المرحلة الأولى من التطور الإنسانى سراً غامضاً)[3]

وفى أسلوب ينم عن اللباقة تفسر دورية "العلوم" الأمريكية العجز فى ذلك قائلة:

(إنَّ نوعية نسب أجداد الإنسان ما زالت نظرية محضة)[4] - أى ليست من الحقائق - وبنفس الأسلوب نجد أنَّ " علماء الإنسان القردى "قد وضعوا فى مؤتمرهم المعقود سنة *1965* تواريخ اعتمدتها مجلة "نيو يورك تايمس" حيث قرروا: (إنَّ جهلنا بشجرة نسب الإنسان ما زالت حتى اليوم جهلاً عجيباً فهناك ما زالت ثغرات.)[5] إلا أنهم مع ذلك وبتأكيد غريب مستهجن

(*1*) المصدر السابق، صفحة (97)، نقلاً عن: مجلة " العالم الحديث *New Scientist* " عدد 25 / 3 / 1965.

(*2*) خلق لا تطور، صفحة (97)، نقلاً عن: *Saturday Evening Post*

(*3*) المصدر السابق، نقلاً عن: كتاب " الإنسان الأول " *Primates*

(*4*) المصدر السابق، نقلاً عن: مجلة " العلوم *Sciences* " عدد شهر 11 سنة 1966.

(*5*) المصدر السابق، صفحة (98)، نقلاً عن: مجلة " *New York Times* "، عدد 11 / 4 / 1965.

يدللون على وجود الإنسان القردى قائلين كما ورد فى نفس المجلة: (منذ ما لا يقل عن ثلاثين مليون سنة بدأت تظهر الصفات التى تميّز الإنسان عن غيره من الحيوانات)[1] ويشير الجدول الذى اعتمدوه إلى التأكيد على أنه فى المقام الأول يوجد حيوان اسمه "*Proplio Pithecus*" يشبه القرد المسمى "غيبون *Gibbon*"[2] والذى وجدت عظامه فى مصر.

تلك كانت المرحلة الأولى من مراحل تطور وتحول الإنسان من قرد إلى إنسان، أمّا المرحلة الثانية فهى كما يقول جدولهم المعتمد: (إنَّ المرحلة الثانية كانت قبل *19* مليون سنة، وفيها ظهر حيوان تشبه أسنانه أسنان الإنسان والقردة)[3] لقد زعموا وجود بقايا من هذا الحيوان والذى أطلقوا عليه اسم "*Dryopithecus*"[4] فى أفريقيا وفى أورازيا[5] وبعملية حسابية نجد أنّ الفرق بين الحيوان الأول وبين الحيوان الثانى هو فترة زمنية تقدر ب *11* مليون سنة ليس لدينا عنها أى علم فى المستحاثات[6]. وتضيف المجلة (بعد انقراض الحيوان الثانى منذ نحو تسعة ملايين سنة لم نجد فى الصخور أى معلومات خلال سبعة ملايين سنة)[7]. إلا أنَّ نفس المجلة وفى عدد آخر تستعمل الحكمة والتروى حتى يتم لهم الحصول على براهين

(*1*) المصدر السابق.
(*2*) غيبون: قرد هندى ماليزى يتسلق الأشجار بخفة بسبب طول ذراعه.
(*3*) المصدر السابق.
(*4*) لا يوجد ترجمة عربية لهذا الاسم، ويختصر باسم " *Droplio* ".
(*5*) أورازيا: اصطلاح يطلق على قارتى آسيا وأوروبا.
(*6*) المستحاثات - علم الإحاثة - paleontology - هو علم مستحدث يبحث فى أشكال الحياة فى العصور الجيولوجية الغابرة، كما تمثلها الأحافير الحيوانية والنباتية، وقد نشأ هذا العلم فى أوائل القرن التاسع عشر، قاصدين منه إلقاء الأضواء على المسائل النشوئية، وعلى مسائل تصنيف الحيوان والنبات والعوامل التى تحدد توزعها الجغرافي. أما الأحافير (المستحجرات) fossils: فهى بقايا أو آثار الحيوانات والنباتات التى هلكت أو بادت ودفنت فى طبقات الأرض فى أزمنة غابرة، وهى تكون عادة متحجرة فى الصخور أو مطبوعة عليها.
(*7*) المصدر السابق.

مادية حيث تذكر: (إنَّ من الحكمة ألا نؤكد بأنّ الصلة بين الإنسان القردى والإنسان تعتمد على شهادة المستحاثات بل ننتظر اكتشافات جديدة)[1]

وفى نِسْبَة نَسَب الإنسان إلى الجَد الذى ادعته دورية نيويورك تايمس الذى هو "*Propilio*" [2] فإنَّ علماء تطور آخرين يرفضون ذلك النَّسَب، ويوصلون النَّسَب بالقرد المعروف باسم "غيبون" ويقولون بأنه "*Dryopith*"[3]، مع رؤيتهم أنَّ أقدم أجداد الإنسان القردى هو حيوان "*Ramapith*"[4] أى أنَّ لكل منهم روايات توهمها كيفما اتفق!

وتدعى نفس المجلة أنه: (منذ نحو *12* مليون سنة أى فى منتصف الطريق بعد ظهور الإنسان الأول "*Dryopith*" ظهرت مخلوقة جديدة أسمتها "*Simiesque*" لها ملامح الإنسان، اكتشفت فى سلسلة جبال سيواليك)[5]

يتضح بداهة أنَّ الجَد المزعوم "رامابيت" والجَد الآخر "أوسترالوبيت" الذى هو "الإنسان القردى الأفريقي" الذى يطلقون عيه اسم "*Australo Pithecus*" وهو الجَد الثانى المزعوم فى سلسلة النَّسَب توجد بينهما ثغرة عميقة، وفى هذا تقول جريدة "أخبار العلوم" فى عددها الصادر بتاريخ *1967/1/28*: (من المؤسف أن يكون بين آخر رامابيت وبين أول أوسترالوبيت ثغرة تمتد نحو عشرة ملايين سنة ليس لدينا عنها أى أثر للمستحاثات وهكذا فإننا أمام هذه المعطيات نجد الصخور صامتة لا تدلى

(*1*) المصدر السابق: نقلا عن: المجلة الأميركية، عدد تموز 1964.
(*2*) اختصار لكلمة: *Propliopithecus*.
(*3*) اختصار لكلمة: *Dryopithecus*.
(*4*) اختصار لكلمة: *Ramapithcus*. * لم تعتمد ترجمة عربية للأسماء الثلاثة السابقة ومثيلاتها.
(*5*) سلسلة جبال سيواليك أمام جبال همالايا فى شمال غرب الهند.

بأى دليل منذ *12* مليون سنة وحتى عشرين مليون سنة قبل عصرنا هذا)[1]

والسؤال الذى يتبادر إلى ذهن كل عاقل ويحتاج إلى إجابة مقنعة هو: من هو الجد رامابيت هذا، وما هى أوصافه، وما هو الدليل على أنَّ هذا المخلوق المدعى يتصل بنسب الأبوة إلى الإنسان؟

ويجيب العلماء على هذا السؤال فى مجلة "*Saturday evening post*":

(لَعَلَّ الرامابيت كان الشمبانزى الصغير الذى يتمتع بأيد خفيفة وبخفة القرد، وقد يمكن أن يكون من أوائل المخلوقات التى عُرِفَت، ولكنه ليس بالمخلوق الأول فى أُسرة الإنسان، وكان لا يقل ذكاء عن الشمبانزى الذى نعرفه الآن، وليس لدينا إلا فكرة عابرة عن صورة مقطوعة من فيلم طويل.)[2]

والذى نفهمه من هذا النّص والأوصاف التى يقدمها لنا علماء التطور بأنّ الرامابيت كان حيواناً من أُسرة القرد الإنسانى المزعوم أو القردة كبيرة الحجم، أما ادعائهم أنَّه كان فى سلسلة نسب الإنسان فإنَهُ وَهم وخيال واسع لا يتصل إلى الحقيقة بسبب، **لا** سيما وأنَّ علماء تطور آخرين لا يؤكدون أنه داخل فى سلسلة التطور الإنساني، ومن ذلك ما يقوله "د. كلارك" صاحب كتاب "أدلة المستحاثات على تطور الإنسان" **فقد ذكر فى كتابه المذكور:**

(يجوز لنا أن نتخيل صورة للمراحل التى تعترض بين أجدادنا المعروفة باسم "بيتوكويد *Pithecoides*" وبين "الأوسترالوبيت"، ولكن إذا انعدمت

(*1*) خلق لا تطور، صفحة (99)، نقلاً عن: جريدة " أخبار العلوم " عدد 28 /1967/1.
(*2*) المصدر السابق، صفحة (100)، نقلاً عن: مجلة " ستر دى ايفننج بوست ".

الأدلة الملموسة فى المستحاثات تبقى الفكرة غير مقنعة.)[1]

لعل. ربما. قد نتخيل هناك ثغرات من الحكمة ألا نؤكد. قد نجد صعوبة فى التأكد..

وفى استعراض أقوالهم نجد أنه يغلب عليها ورود كلمات مثل: (نتخيل. نظن. قَد. رُبَما. هناك ثغرات. من الحكمة ألا نؤكد، قلما تكون الاستنتاجات مدعومة بدليل. قد نجد صعوبة فى التأكد. سِراً غامضاً. ما زالت محض نظرية. نتصور أنَّ. مازال البحث جارياً... وهكذا) وهى كلها عبارات تشيكية لا تؤخذ على أنّ أصحابها قاطعون بصحتها، أو حتى أنّ لديهم ترجيحاً أو غلبة ظن بها، بل هى افتراضاتٌ وهمية لا أساس لها من الصّحة علقت بأذهانهم وطفقوا يألفون لها الأدلة التى عجزوا عن الإتيان بها، فلا يجوز أن يُكتفى بالتحدث عن سلسلة النّسَب النازلة عن الجَد الأكبر المشترك والمفترض افتراضاً بلا دليل حتى تنتهى إلى الأوسترالوبيت المزعوم أيضاً فى حين أنَّ تلك السلسلة ليست إلا هرطقات ونتيجة أوهام أتت من نزغ الشيطان، فلماذا يقبل عاقلٌ نظرية تقوم على تخيلات وأوهام لا تستند إلى أى دليل أو إثبات، وليس لها أى أثر فى الواقع!!!

إنّ الأخذ بتلك النظرية أو ما يناقضها هو أمر عقائدي، فالعقيدة هى فكرة كلية شاملة عن الكون والحياة والإنسان، وعما قبل الحياة الدنيا وعما بعدها وهذا يعنى تصديق جاذم مطابق للواقع عن دليل. وذلك يحتم علينا أنَّ

---

(1) المصدر السابق، نقلاً عن كتاب: " أدلة من المستحثات على تطور الإنسان ".

كل ما نأخذه كعقيدة يجب أن يكون قد أتى بدليل عقلى يجذم به ويجذم بفساد وبطلان ما يخالفه، لذا فإن إعطاء نظريات عقائدية بلا دليل يمكن الجذم به هو أمر مرفوض قطعاً، كما هو مرفوض أيضاً الاعتقاد بنظريات أتت بعبارات تشكيكية لأن تلك العبارات تدل على عدم وجود القطع والجذم عند القائلين بها، بل تدل على الظن والتوهم مما لا يجوز أخذه فى الاعتقاد، وبالتالى لا مكان لها لأن تصبح فكرة كلية شاملة.